ملحمة عمر

سر المقوقس

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر

١ – على أسوار دمشق
٢ – معركة الجسر
٣ – كسرى وقيصر
٤ – أبطال اليرموك
٥ – تراب من أرض فارس
٦ – رستم
٧ – أبطال القادسية
٨ – مقاليد بيت المقدس
٩ – صلاة في الايوان
١٠ – مكيدة من هرقل
١١ – عمرو وخالد
١٢ – سر المقوقس
١٣ – عام الرمادة
١٤ – حديث الهرمزان
١٥ – شطا وارمانوسة
١٦ – الولاة والرعية
١٧ – القوي الأمين
١٨ – غروب الشمس

الناشر: دار البيان. ص.ب ٢٠١٧. الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

موقع الأديب
علي أحمد باكثير
www.bakatheer.com

ملحمة عمر

سِرُّ المقوقس

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تونس
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الاول

في المسجد النبوي الشريف بالمدينة
عمر في جماعة من الصحابة بينهم اهل الشورى وهم ينصتون الى حديث عبد الله بن حذاقة الذي قَدِم من ارض الروم .

ابن حذافة : وهكـــذا يا امير المؤمنين اطلَقَ هرقل سراحي وسراحَ اصحابي لنكون رُسلَ خير وسلام اليك ..

عثمان : فقد وجب عليك يا امير المؤمنين ان تُجيبه الى ما طلب ..

عمر : ليت شعري ايريد هرقل السلامَ حقاً ؟

ابن حذافة : ذلك الظن به يا امير المؤمنين فقد كانت حملةُ الشام وبالاً عليهم ، وما إخالُه كان يُطلق سراحنا ونحن ثمانون اسيراً بغير فداء ولا

مُبادلة لو لم يكن يريدالسلامَ حقاً وصِدْقا..

عثمان : فاكتب الى عمرو بن العاص يا امير المؤمنين ليعْدِل عن غزو مصر .

الزبير : كلا لا تفعل يا امير المؤمنين حتى تتأكد من صدق قيصر .

عثمان : مر عمراً فلينتظر حتى يتبـــينَ لك صدقُ قيصر او كذبُه فليس ما يحمله على التسرع والتهور ..

الزبير : أننتظر حتى يغزونا هرقل بسفنه من بحر القلزم ؟

عثمان : لو كان يريد ذلك حقاً ما اطلقَ هؤلاء الاسرى تودُداً الى امير المؤمنين ..

الزبير : ما يدريكَ لعله ما اطلقهم الا خديعةً لامير المؤمنين ..

طلحة : اجل يا امير المؤمنين قد خدعكَ مرة من قبْل فلا يخْدعنَّك مرة اخرى.

عمر : ماذا ترى يا ابا الحسن ؟

علي : قال الله تبارك وتعالى لرسوله .. وان جَنحُوا للسِّلْمِ فاجنَحْ لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم .. وان يريدُوا أن يخْدَعُوكَ فان حسْبَكَ الله .

عمر : اصبت يا ابن ابي طالب .. والله لا ارد يداً مدَّها قيصر اليّ بسِلْم ابداً .. وان خانَ عهدَه مرة بعد مرة .. خبرني يا عبد الله بن حذافة هل لقيت ابن عمك عمرو بن العاص في طريقكَ ؟

ابن حذافة : نعم يا امير المؤمنين .. لقيتُـــه بقيسارية ووجدتُه يحشُد الجيشَ ويتأهب للمسير الى مصر ..

عمر : فهلاَّ اخبرتَه ان قيصر يرغب في السلم وأنه اطلق سراحكمُ من اجل ذلك ؟

ابن حذافة : قد فعلت يا امير المؤمنين وقلت له لعلَّ امير

المؤمنين يبـــدو له اذا ما بلَّغْتُه رسالةَ قيصر فيكتبَ اليك بخلاف ما كتب من قبل ..

عمر : فماذا قال ؟

ابن حذافة : قال لافضِيَنَّ كما امرني اميرُ المؤمنين حتى يجيئَني منه كتاب آخر .

عثمان : فاكتُب اليه يا امير المؤمنين على الفوْر ..

عمر : اخشى الا يُدْركه كتابي الا وقد دخل في مصرَ .. اني اعرف حرص عمرو على غزوها ..

عثمان : اكتب اليه ان يرتَدَّ عنها ولو كان قد دخل ..

الزبير : كلا يا عثمان إن كان قد دخل في ارضهـــا فلْيتوكل على الله ، وإلا ظن الروم بنـــا الضعف فجرَّأهم ذلك علينا ..

علي : هذا هو الرأي يا امير المؤمنين ..

عمر : فاكتب اليه يا علي بذلك وليمض به رسولٌ جلْدٌ ..

علي : (يقوم من مكانه) سافعل يا امير المؤمنين..

عثمان : على الفور يا أمير المؤمنين ..

عمر : اَجلْ على الفور .. دونَكَ خاتمي فَخُذْه

(يناول علياً خاتمه فيخرج علي).

ابن حذافة : هذا حسان بن ثابت يا امير المؤمنين ..

(يدخل حسان بن ثابت وهو اعمى يقودُه صبي) .

عمر : مرحباً بحسان . هلمَّ يا شاعر رسول الله اجلس قريباً مني .. اتدري لماذا بَعثْنَـا اليك من حائطك ؟

حسان : (يجلس بقرب عمر) يا امير المؤمنين اني اُشم في مجلسك هذا انفاسَ الأحبة من آل جَفنة ..

عمر : رحم الله يعقوب اذ وجد ريح يوسُف .. هذا عبدالله بن حذافة السهمي قد جاء بمعونة لك وهَدية من جبلة بن الايهم .

ابن حذافة : (يدنو من حسان) خمسمائة دينار وكسوة
خُذْها يا ابا عبد الرحمن . (يضع الكيس
والهدية بين يدي حسان) .

حسان : (يتحسس الكيس والهدية) قد علمتُ انه
لن ينساني .. هل لقيتَه يا أبا حذافة ؟

ابن حذافة : نعم

حسان : فكيف وجدتَه ؟

ابن حذافة : وجدتُه قد تعجلَ فانيةً أشتراها بباقية ..
ووجدتُه مع ذلك نادماً على ما كان منه ويتمنى
لو عاد إلى الاسلام ..

حسان : فما الذي يمنعُه ؟

عمر : الشِقوةُ التي غلبت عليه ..

حسان : (يبكي) واأسفا على ابن الايهم ..

عمر : خفّض عليك يا أبن الغريعة .. لقد قال الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم : إنكَ لا تَهْدِي
من أحْبَبْت ..

ابن حذافة : يا أبا عبد الرحمن .. إنما رضيتُ ان أحملَ
هذه الأمانة اليكَ لاراك تضحك لا لاراك
تبكي .. هوّن عليك فإنه يقيم في قصرٍ
أفخمَ وأجملَ من القصر الذي يقيم فيه
قيصر نفسه ..

حسان : أحقاً يا ابن حذافة ؟ حدّثني ..

عمر : لو بكرت قليلاً يا حسان لسمعتَه وهو
يقُصُّ علينا عن جبلة وعن قيصر وعن
أرض الروم ..

ابن حذافة : ألا تحب ياامير المؤمنين أن أُكملَ لكم حديثي
عن أرض الروم ؟

عمر : وعندك ما تقصُّه بعد ؟ لقد حدثنا منذ متع
الضحى وها نحن اولاء قد قاربنا أذان
الظهر .. فهلا كنت أوجزْت ؟

ابن حذافة : لقد والله أوجزت يا امير المؤمنين ..

عمر : اوجزت .. فكيف لو اسهبْتَ ويلك ؟

ابن حذافة : لو اسهبت يا امير المؤمنين لكَبِرَ الصغار قبل أن أفرُغ من حديثي واكتَهَلَ الشبان ومات الشيوخ ..

(يضحك الحاضرون)

عمر : قاتلك الله .. ما تخليتَ عن دُعابتكَ ..

ابن حذافة : وهل يتخلى أحدٌ عن خير ما فيه ؟

عمر : كلا ليس ذلك خيرَ ما فيكَ يا أبا حذافة ..

ابن حذافة : بلى يا امير المؤمنين لولا هذه التي تُنكرُها عليّ لما أطقْت الصبر على سجن ملك الروم وألوان عذابه ..

عمر : لكنها هي التي جعلتك تقول لرجال سريتِكَ ذاتَ يوم وقد اوقَدُوا ناراً : أدخلوا هذه النار .. أوقد نسيتَ ذلك يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : لا يا امير المؤمنين ما نسيتُ .. لقد أردت يومئذ ان اختبرَ طاعتَهم لي .

عمر : ويلك فلقد همـوا أن يطيعوكَ اذْ كنت اميرَهم ..

ابن حذافة : لو فعلوا لظلوا فيها إلى يوم القيامة .. إنما الطاعةُ في المعروف .. هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغَه أمرُنا فلامهم هم ولم يَلُمْني ..

عمر : ويْحك لقد حبسْتَ الناس عن أشغالهم وحبستني عن شغلي (ينهض) أيها المسلمون ان عبد الله بن حذافة كما سمعتم قد قبّل رأس قيصر من أجل أخوانه من أسرَى المسلمين في أرض الروم ، فحقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسه وأنا ابدأ .

(يدنو من ابن حذافة فيقبّل رأسه)

(ينهض الحاضرون ويلتفون حول ابن حذافة ليقبلوا رأسه)

ابن حذافة : (يصيح) يا امير المؤمنين اغثْني !!

عمر : ما خطبك ؟

ابن حذافة : هؤلاء ان تتابعوا على رأسي بشفاهِهم لا يدعُونَه حتى يُحيلوه مثل رأسك !!

عمر : (يضحك فيضحك الجميع) قاتَلكَ الله يا ابن حذافة .. أيها المسلمون كُفوا إذن عن رأسه .. وليمض كل امرىء إلى شغله ..

(يخرج عمر وينفض الحاضرون)

حسان : (يستوقف ابن حذافة) على رسلك يا أبا حذافة .. هل خرج امير المؤمنين ؟

ابن حذافه : نعم ..

حسان : اسمع رعاك الله ..

ان ابنَ جفنَة من بقيةِ معشرٍ
لم يَغْذُهم آباؤُهم باللُّوم
لم ينْسَني بالشام اذ هو ربها
كلا ولا متنصِّراً بالروم
يُعطي الجزيل ولا يراهُ عنده
إلا كبعْضِ عطيةِ المذموم

ابن حذافة : (ممازحاً) أن كنت تريد ان تكلفَني بحمل هذه الابيات اليه فاني غير عائد إلى القسطنطينية ..

حسان : كلا يا أبا حذافة وإنما هي أبياتُ هجمَتْ عليّ فاَحببْتُ أن أُسْمعها لك . ان جبلة لخليلي وما كان ليُخِلّ بي. أفلم يقل لك شيئاً حين سلمَك الهدية ؟

ابن حذافة : بلى قال لي : ان وجدتَه حياً فادْفعهَا اليه وإن وجدتَه ميتاً فاطرح الثيابَ على قبره وابْتَعْ بهذه الدنانيرِ بُدْنا فانحَرْها على قبره ..

حسان : ليتك وجدتني ميتاً ففعلتَ ذلك !.

ابن حذافة : ويحك يا ابن الغريعة اتريد أن تُرهقني نَصَباً ؟ أتراني فارغاً فأشتري البُدْنَ ثم انحرُها على قبرك ؟

حسان : يا عبد الله ما كان ذلك ليتعِبَك ..

ابن حذافة : يا شاعرَ رسول الله أما والله لو سمعها ابنُ الخطاب منك لأوجعَكَ بالدِّرة ..

حسان : انما قلتها لك خاصة يا أبا حُذافة فاكتمْها عليّ ..

ابن حذافة : افكان يَخْفَى على أمير المؤمنين لو اني نحرْتُ البُدْنَ على قبرك ؟ يا ناكرَ الجميل اتريد أن تقعَ دِرَّةُ عمر على ظهْري انا من دُونك ؟

حسان : الحمد لله اذ وجدتني حياً فكُفِيتَ ذلك ..

ابن حذافة : أجل الحمد لله ..

المشهد الثاني

في الطريق بين رفح والعريش. الى العريش أقرب بعد عبور مهبط السيل ..

يرى عمرو بن العاص ورومانوس ويونس واقفين يتطلعون فيما حولهم وتسمع قريباً منهم همهمة خيولهم ..

عمرو : اتعلمُ يقيناً يا أبا الروم أن هذه البقْعة من أرض مصر ؟

رومانوس : أجل نحن في أرض مصرَ منذ عبَرْنا مَهْبِط السيل ذاك ..

عمرو : الحمد لله .. الآن اطمأنّ قلبي .. فليحملْ رسولُ امير المؤمنين الينا ما يحْمِل ..

يونس : (يهوى على الأرض فيلثمها) واشوقاه اليك !!

عمرو : ماذا تصنع يا يونس ؟

يونس : قد وجب ان الثمنها أيها الأمير ..

رومانوس : يا لجنونك .. ماذا تلثمُ من تراب ؟

يونس : هذا ليس كأي تراب يا أبا الروم . هذا أرض ارمانوسة !

عمرو : دعه يا أبا الروم وشانه ، فوالله لا جناح عليه بعد اليوم .. خبّرني يا يونس .. هل رآك ذلك الرجلُ صاحب الراحلة الدهماء ؟

يونس : لمحَني من بعيد ولكنه لم يعرِفني اذ اوهمْته انني من الروم ثم سلكْت طريقاً آخر حتى سبَقْته ..

عمرو : لله أنت من رائدِ جيش ..

رومانوس : لا غَروَ فقد خرّجه خالد بن الوليد وضرار ابن الازور .

عمرو : والله لئن صحّ يا يونس ان الذي انذرْتنا به هو رسولُ أميرِ المؤمنين لأجعَلَنّ لك

عندي جائزةً سنية ..

يونس : أجعل جائزتي يا أمير الجيش ان تكون لي ارمانوسة ..

عمرو : لتكونُن لك ان شاء الله يا يونس .. (ينظر جهة الشمال) ويلهُم ما بالهُم وقفوا في العُدْوَة الأخرى لا يتحركون ؟ (ينادي باعلى صوته) وردان ! يا وردان !!

وردان : (صوته من بعيد) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : ما بالُكم واقفين هناك؟ ألم آمرْكم أن تلحقوا بنا على الأثر ؟

وردان : أيها الامير ان المكان هنا أصلحُ لنزول الجيش من المكان هناك ..

عمرو : ما أنت وذاك؟مرهم جميعاً يعبُروا مَهبِط السيْل الينا ..

وردان : أيها الامير .. مهبطُ السيل يفصل بيننا وبين العَريش فخير لنا أن ننزل دُونه ولا نعبُره

حتى يبيّتَنا العدوُّ على غِرة .

عمرو : (مغضباً) يا عبد السُّوء .. أيُّنا الامير أنا أم أنت ؟

ابن عمرو : (صوته من بعيد) يا ابت لقـــد صدق وردان .. الرأيُ رأيُ وردان ..

عمرو : (يزداد غضباً) أنت أيضاً يا ابن رَيْطَة ؟ أنت والعبد ؟ يا عبـــد الله ابن ابي سَرْح يا ابن ابي سَرْح !!

ابن ابي سرح : (صوته) لبيك أيها الامير !.

عمرو : أنت على الجيش مكاني .. مرْهُم جميعـــاً يلحَقُوا بنا على الفور ..

ابن ابي سرح : سمعاً وطاعة ايها الامير ..

عمرو : اسمع يا ابن ابي سرح .. ان اعترَضك احدٌ فاقتـْله ..

ابن عمرو : (صوته) وعلام نَعْترض ؟ التبعةُ كلُّها عليك .

رومانوس : اعذُرْهما يا اميرَ الجيش فانهما يجهَلان قصدَك .

عمرو : وهل كان بوُسْعي ان اعلنَ لهما قصدِي على رؤوس الاشهادِ ؟ لقد امرتُهما امري وعليهما السمع والطاعة ..

رومانوس : طبْ بالاً فهـــاهم اولاء يعبُرون مهبط السيل ..

يونس : انظر أيها الامير .. (يشير إلى جهة الجنوب) هذا رجل من القِبْط قد اقبلَ !.

عمرو : بل هذا صاحبنا ابو رَافعٍ قد تزَيّا بزيِّهم ..

يونس : ابو رافع ؟

رومانوس : اجل انه هو .

عمرو : هلم يا مولى رسول الله تُرى ماذا وَجدْت ؟

ابو رافع : (صوته) ابشِرْ يا ابا عبد الله .

عمرو : أفصِحْ يا ابا رافع .

ابو رافع : (يدخل) وجدت مدينة العريشِ خالية

من حامِيَةِ الروم ليس بها منهم احدٌ ..

عمرو : الحمد لله .. هذا فالٌ حسنٌ ..

رومانوس : من اين لك هذه الثيابُ يا ابا رافع ؟

ابو رافع : ابتَعْتُها من سوقُ العريش .

رومانوس : ولم يحاولْ ان يمنعَك من دخولها أحدٌ ؟

ابو رافع : من ذا يمنعني ؟ ليس فيهـا غيرُ القبط ..
يا ابا عبد الله ألا تُعْطِيني الرسالةَ التي
كتبتَها للبطريق بِنْيامين لأحمِلَها اليه ..

عمرو : (فرحاً) اعرفْتَ اليوم أين مقرُّه ؟

ابو رافع : لا ، ان أحـداً لا يعرفُ أين هو ولكني
سأبحثُ عنه في كل مكان حتى اجدَه ..

عمرو : ألا تؤجلُ مسيرَك إلى الغدِ ؟

ابو رافع : يا ابا عبد الله خيرُ البر عاجلُه .

عمرو : ألا تودِّع امَّ رافع قبلَ مسيرك ؟

ابو رافع : لقد ودعتُها أمسِ ولا أحب ان اودعها مرة
أخرى .

عمرو : خذْها اذن وتوكل على الله (يُخرج الرسالة
من بين ثيابه ويناولها لأبي رافع) .

ابو رافع : اوصيكَ بأم رافع خيراً يا ابا عبد الله .

عمرو : طِبْ بالاً فهي عندي وأم عبد الله بمنزلة
واحدة ..

ابو رافع : جزاك الله صالحةَ .. استودعُكم الله .

عمرو : استودعك الله (يخرج ابو رافع) .
(ينادي) يا عبد الله ابن ابي سرح ..

ابن ابي سرح: (صوته من مكان قريب) لبيك ايها الامير.

عمرو : رتِّبْ الناس على منازلهم في هـذا السهل
واجعل خيامَ النساء في الوسطِ .

ابن ابي سرح: (صوته) حباً وكرامة ..
(يدخل عبد الله بن عمر ووردان) .

ابن عمرو : ما هذا الذي صنعتَ يا أَبَه ؟ أليس لك دين
ينهاكَ عن هذه السفاهة او مروءة ؟

عمرو : الأني دعوتُك ابن رَيْطة ؟

ابن عمرو : لا فأنا ابن ريطة حقاً ولقد والله أنجبَتْ ولولا هي لكنت قميئاً ولكن لأنك شتمت وردان وسميتَه العبد .

عمرو : اوليسَ هو عبدي ؟

ابن عمرو : لا يقل احدُكم هذا عبدي وهذه اَمتي وليقل فتايَ وفتاتي . . هكذا ادَبنا رسولُ الله ﷺ .

عمرو : يابَنيَّ ان وردان يعرف منزلتَه عندي وليس لك ان تدُخل بيني وبينَه .

ابن عمرو : فلا تشتُمْهُ اذن أمام الناس .

عمرو : هو الذي دفعني الى ذلك وهو يعرف ذلك . .

ابن عمرو : أمن اْجل انه اشار عليك بالرأي السديد ؟

عمرو : ويلك ما علمُك أنت بالرأي السديد من غيره ؟ إلأنَّك اسلمتَ قبلي ؟

ابن عمرو : أما والله ان ذلك لفضْلٌ كبير . .

عمرو : يا عُدَيَّ نفسه . . افلا طلبت إلى أمير المؤمنين فولاك إمارة الجيش مكاني ؟

ابن عمرو : يا أبت لا أحد ينازعُك اْمرَة الجيش ولكن عليك الا تَحْقِرَ مشورة أحد من المسلمين .

عمرو : يا بني . . فقّه الناس في دينهم ان شئت . . ولكن دعني وسياسة أمري . . إنما تعطي مشورتَك في الحرب حين تُستشار لا حين تُؤمر وإلا ضاع الناس .

ابن عمرو : ذاك لو كنا في حرب ولم نخُض حرباً بعد . .

عمرو : بل نحن في حرب منذ فصَلْنا من قيسارية .

ابن عمرو : لكن قتالاً لم ينْشِب بعدُ .

عمرو : وكان قَدْ !

ابن عمرو : ليس لك أن تستبد برأيك وإلا ضاعَ الناس .

عمرو : أنت كنتَ المستبدَّ برأيك اذ عطَّلت أمري عن النَّفاذ وليس ذلك من حقك . .

ابن عمرو : ياأبتِ ألا تجعلُ حكماً بيني وبينك ؟ انك فضَّلت مكاناً على مكان هو خير للمسلمين منزلاً وأسلم لهم عاقبة وابعد من عدوهم منالاً

مع ما قد نالهم من الجَهْد والكلال فلو انزلتهم هناك لأرحتهم من اجتياز مجرى السيل وهم لُغوب .

عمرو : اتقبلُ يا هذا أن نحتكمَ إلى السابقين من صحابة رسول الله ممن هم أفضلُ مني ومنك؟

ابن عمرو : نعم ..

عمرو : عليّ بأبي ذَرٍّ وأبي ايّوب وأبي الدَّرْدَاء .

الثلاثة : (اصواتهم) ها نحن اولاء يا أمير الجيش (يدخلون)

عمرو : أوَقد سمعتم يا صحابة رسول الله ما دار بيني وبين عبد الله بن عمرو ؟

الثلاثة : نعم .

عمرو : فماذا تَروْن ؟

ابو الدرداء : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يكون اللعَّانون شفعاءَ ولاشهداءَ يوم القيامة .

ابو ايوب : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمنُ بالطعَّان ولا اللعّان ولا الفاحشَ ولا البذِيء

ابو ذر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم انني عَيّرت فتايَ بأمه الاعجمية فغضِبَ النبيُّ وقال يا ابا ذَر انك امرؤٌ فيك جاهلية ..

عمرو : استغفرُ اللهَ مما قلتُ واتوبُ اليه ولكن ما تقولون فيما زعم عبدُ الله بن عمر اني ارهَقْتُ المسلمين اليوم باجتياز مجرى السيل فهل وجدتُم في ذلك من رَهَق أو مشقة ؟.

الثلاثة : لا والله ما وجدْنا شيئاً من ذلك ولقد خرجْنا ومعنا نساؤنا لنجاهدَ في سبيل الله ونحتملَ كلَّ ما يصيبُنا من ظمأ ومخْمَصة ومشقة ..

عمرو : أليس لي عليكم السمعُ والطاعة في كل ما آمركم أو انهاكم ؟

الثلاثة : بلى علينـــا نطيعَك في المنشَط والمكره والعُسْر واليسر الا ان تأمرنا بمعصيةِ الله فلا سمعَ ولا طاعة .. على ذلك بايَعْنا رسول الله ﷺ .

يونس : (يدنو من عمرو) الرجل قد جاء أيها الأمير (ينسل خارجاً كأنه يكره ان يراه الرجل)

عمرو : جَزاكم الله خيراً يا صحابـة رسول الله في هذا بَلاغٌ ..

الرجل : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله ..

عمرو : وعليك السلام ورحمـة الله .. من تكون يا اخا العرب ؟ اتريد ان تنضَمَّ الينا في قتال الروم بمصر ؟

الرجل : ويحك يا ابنَ العاص ألا تعرِفُني ؟ أنا عقبة ابن عامر .

عمرو : عقبةُ بن عامر الجُهَني .. مرحبـــاً بك يا أخا جهينة ..

عقبة : أنا رسول أميرِ المؤمنين اليك .

عمرو : مرحبـــاً برسول اميرِ المؤمنين .. ويحك يا عُقبةأتدري ماذا ظنّك رائِدِي اذْ رآك اليوم في الطريق ؟

عقبة : ماذا ظنَّني ؟

عمرو : لقد ظنَّك جاسُوساً للروم علينا فانذَرَني بك ..

عقبة : جاسُوساً للروم ؟ ألَمْ يعرفْ من هيئَتي اني عَرَبيٌّ .

عمرو : يغفر اللهُ لك يا عقبة وهل يتخذُ الرومُ جواسيسَهم علينا إلا من العرب ؟

عقبة : صدقت يا عمرو .. لكن أين رائدُك هذا ؟ اريدُ أن اراه .

عمرو : يونس .. تعالَ يا يونس ...

يونس : لبيك أيها الأمير .. (يدخل) .

عقبة : سبحان الله .. هذا عينُ الفتى الأشْقَر الذي

سمعته يرطن فظننته انا عيناً للروم او ربيئة .

يونس : أجل لقد رَطنتُ له بالرومية لأوهمه اني من الروم فلا يقصدني بسوء .

عمرو : ما رأيت كاليوم عجباً .. لقد كنتُ على ان انزلَ الجيشَ هناك بالعدوة الأخرى لولا خوفي من الجاسوس الذي انذرني به يونس اليوم ..

رومانوس : ايها الأمير لعل اللهَ قد ارادَ لنا في ذلك خيراً ..

عمرو : الحمدُ لله الذي ابدَلنا بجاسوسِ الروم رسولَ أميرِ المؤمنين ..

عقبة : خذْ .. هذا كتابُ امير المؤمنين .

عمرو : (يفض الكتاب) كيف تركتَ اميرَ المؤمنين .. وأهلَ المدينة ؟

عقبة : تركتهم جميعاً بخير وتركتُ أميرَ المؤمنين

وهو يتجهَّزُ للحج .

عمرو : عجباً اتدْري يا عُقبَة ما في هذا الكتابِ ؟

عقبة : لا يا عمرو وانما امرني اميرُ المؤمنين الا آلو جُهْداً في الإسراع به اليك .

عمرو : ايها الناس .. اصْغوا إليّ لاقرأَ عليكم كتابَ امير المؤمنين ..

(تهدأ الأصوات) من عبد الله عمرَ امير المؤمنين إلى عَمْرو بن العاص اما بعد إن ادركَكَ كتابي هذا قبلَ ان تدخلَ أرضَ مصرَ فارجع إلى موضعك وإن كنت قد دخلتَ فامْضِ لوجْهك واعلمْ انّي مُمِدُّكَ والسلام .

ايها الناس .. ايكم يُفتيني عن عِلمْ ؟ انحن في أرضِ مصرَ الآنأمْ في ارض فِلَسْطين؟

رومانوس : أنا ايها الأمير أُفتيك عن علم .. قد خرجْنا من ارضِ فلسطين فنحن الآن في ارض

مصرَ ..

عمرو : اذن نسيرُ في سبيلنا كما امرَنا امـيرُ المؤمنين ..

الجميع : الحمد لله .. على بركة الله ..

عمرو : ايها المسلمون .. في أي يوم نحن ؟

الجميع : نحن في العـاشرِ من ذِي الحجة .. هـذا يومُ عيدِ الأضحَى ..

عمرو : يا صحابة رَسول الله .. اليْسَ رسولُ الله ﷺ كان يُحِبُّ الفال ؟

ابو الدرداء : بلى كان ﷺ يحب الفالَ الحسن .

عمرو : فايُّ فال احسنُ مما نحن فيه ؟ كان أولُ يوم نبلغُ فيه ارضَ مصر يومُ عيد .. هـذا بَشِيرُ النصْرِ إن شاء الله واوّلُ الفتح !!

المشهد الثالث

في بيت الهاموك حاكم دمياط

هيلانة : كلا لا تَاذَنْ له يا هاموك . يجب أن يبقَى عندنا ولو يوماً آخرَ .

الهاموك : ماذا أصنعُ له يا عزيزتي هيلانه ؟ انه لا يحب دْمِيَاطَ فهو يرى البقاءَ عندنا كأنه سجن .

المقوقس : لا واللهِ لا أجدُ الراحةَ والأنسَ الا عندكم هنا في دمياط بعيداً عن متـاعِب السياسة وأعباءِ الحكم .

الهاموك : لعل طعامَك يا هيلانة هو السببُ .

هيلانة : طعامي يا قيرس اصبح لا يعجبُـك ؟

المقوقس : لا والله يا اختي ما زال الطعـامُ الذي آكله مـن يدكِ اشْهَى طعامٍ في الدنيا إليّ .

هيلانة : فما الذي يُعْجِلك اذن ؟ إننا لم نَقْضِ شوقنا بعد منك .

المقوقس : يا هيلانة يا اختي العزيزة . لو اقمتُ عندكم شهراً باكمله لكان عندي مثلَ يوم واحد . ولقد والله اختلستُ هذه الأيامَ الثلاثةَ التي قضيتُها عندكم اختلاساً .

الهاموك : استكثرتَها علينا يا قيرس ؟

المقوقس : معاذ الله ولكن ما كان لي ان ابْرَحَ حصن بابليون يوماً واحداً في مثل هذا الوقت العَصِيب .

هيلانة : بِتْ هذه الليلة عندنا وسافرْ غداً في أول الصباح .

المقوقس : لا استطيعُ يا هيلانة : يجب ان اكونَ مساءَ غدٍ في حصنِ بابليون .

هيلانة : أين شَطا وارمانوسة ليمنعاك ؟

المقوقس : كلا لن يمنعاني . انهما يعلمان عُذْري .

الهاموك : هاهما قد اقبلا .

(يدخل شطا وأرمانوسة)

هيلانة : أين كنتما ؟ ألا تعلمان ان خالَكما سيرحلُ عنا عصْرَ هذا اليومِ ؟

ارمانوسة : كلا يا خالي .. ينبغي أن تُؤجّل سفرك .

المقوقس : لا استطيع يا أرمانوسة .

ارمانوسة : ولو ليوم واحد .

المقوقس : ولو ليوم واحد .

ارمانوسة : من أجل شطا يا خالي ومن أجلي .

شطا : أجل يا خالي . من اجلنا نحن الاثنين .

المقوقس : كنت انتظرُ منكما ان تكونا عوناً لي لا عوناً عليّ .

شطا : تكلّمي يا ارمانوسة .

ارمانوسة : تكلم أنت يا شطا .

شطا : اعلم يا خالي واعلم يا أبي واعلمي يا أمي ان ارمانوسة بنت ارمانوس وشطا بن الهاموك

قد اتفقا على ان يعقِدَا زواجهما في الكنيسة اليوم .

الثلاثة : (في صوت واحد) اليوم ؟

شطا : اليوم أو غداً أو بعد غـــدٍ كما تحب يا خالي .. قبل سفَـرِكَ على كل حال .

هيلانة : فليكنْ بعد غد يا ولدي حتى نستعدَّ .

ارمانوسة : أو غداً يا خالتي حتى لا نؤخّر خالي كثيراً عن سفره .

الهاموك : ما بالك لا تجيب يا أخي البطريق ؟

المقوقس : ماذا أقول ؟ هذه مفاجأةٌ غير منتظرة .

شطا : هذا هو الحل الوحيد لمُشْكلتنا

ارمانوسة : فكرنا طويلاً فلم نجدْ لها حلاً سواه

المقوقس : ودومنتانوس هل نسيتما دومنتيانوس ؟

شطا : هذا الروميّ الدخيلُ هو الذي دفَعَنا إلى ذلك !

الهاموك : تريد يا ولدي ان تتحدَّاهُ

شطا : نعم .

المقوقس : وهل فكَّرتما في أمري حينَما قرَّرتُما ذلك ؟ ألم تعلما ان ذلك سيعرِّضُني لسَخَط قيصر ونِقْمَته ؟

ارمانوسة : ليس لقيصر ان يتحكَّم أيضاً في شؤوننا الخاصة . أنا لست أمـــةً له فيَهَبُني لدومنتيانوس .

المقوقس : وما حيلتي أنا يا بنتي ؟ لقد طلبك بنفسه لدومنتيانوس فهـــل كان في وُسْعي ان أرفُضَ طلبَه ؟

شطا : نعم كان عليك ان ترفُضَ طلبه

ارمانوسة : أو تقول له على الأقل ان الأمرَ في يَدِي أنا.

المقوقس : يا ولَديَّ العـزيزين . انكما لا تعلمان في أي وَضْع كنت أنا ذلك اليوم . لقد اتهَمَني البِطريقُ سرجيوس علناً في مجلس قيصر باني اِحنٌّ إلى قَوْمي القبط واني اماِلئهُم

على الروم . كل ذلك لاني طالبْتُ برفع الاضْطِهَاد الديني عن القِبْط ومنْحِهم حريةَ العقيدة لئلا ينضَمُّوا إلى العرب إذا جاءوا يغزُون مصر .

الهاموك : وكيف تخلَّصْت من تلك التهمة يا قيرس؟

المقوقس : قلت لهم : هل تعرفون أحداً من الروم اضْطَهد القبطَ مِثْلي قط؟فكأنما القَمْتهم حجراً .

الهاموك : صدقت . والله انك لبارعٌ .

المقوقس : أفكان في وسعي يومئذ أن أرد طلبَ هرقل ؟ إذن لأثرت الشُّبْهَة على نفسي ولمكنت سرجيوس والأطربون وتيودور وغيرهم من بلوغ ما يَشْتهون . واذن لحِيلَ بيني وبين هذا العمل الذي اقومُ به اليوم سِراً لتحرير القِبْط من ظُلم الروم والمحافَظَة على حقوقهم عند العرب .

ارمانوسة : والله يا شطا ان خالنَا لمعذُور .

شطا : أجل كان له عذرُه في القسطنطينية يومذاك ولكن ما عذره اليوم ؟ ماذا يخشى اليوم من من قيصر ؟ أيخشى أن يعزِلَه ؟

المقوقس : نعم .

شطا : ألست تقول انك تريد أن تكفِّرَ عن سيئاتك التي ارتكبتها في حق القبط ؟

المقوقس : بلى ومن أجل ذلك أخشى أن يعزِلَني هرقل ويقصيني من مصر ويُولِّي أمرَها لأحد قواده الروم وربما لدومنتيانوس نفسه .

شطا : (ثائراً) إذن والله لا ينجُو مني ابداً . لاقتُلنَّه ولو كان بين رجاله .

الهاموك : ماذا تقول يا ولدي ؟ أفَقَدْتَ عقلَك ؟

المقوقس : كنت اظن يا شطا انك مثلي تكره الرومَ جميعاً فاذا أنت تكره دومنتيانوس وحده .

شطا : كلا لست اكرهه وحده . اني أكرههم

جميعاً . اشتهي ان اغمضَ عيني ثم افتحها فلا أرى روميا واحداً على أرض مصر !

المقوقس : إذن فعلينا أن نعمل بحكمة وأناة ولا نتهوّرَ أو نتسرّع فنخسرَ كل شيء اني أملك سلاحين ماضيين في معركة تحرير القبط هما ثقةُ قيصر وحكمُ البلاد . فكيف تريد مني أن اعلنَ زواجك بارمانوسة فأخسرَ هذين السلاحين الماضيين ؟

هيلانة : اسمع كلامَ خالك يا شطا فانه أعرفُ بهذه الأمور منك .

المقوقس : كلا اني اريد أن يقتنعَ شطا بكلامي لا أن يطيعَني طاعةً عمياءَ .

شطا : ماذا ترَيْن يا أرمانوسة .

ارمانوسة : ثِقْ يا ابن خالتي اني ساكونُ لك ولن أكونُ لغيرك ابداً . وسأنتظرُك مهما يطُلْ الانتظارُ .

شطا : وتبقَيْن هنا عند أمي ؟

ارمانوسة : وخالي يا شطا من ذا يعنى به في بيته ؟

شطا : لن يطمَئِن قلبي إلا إذا بَقيت هنا في دمياط .

ارمانوسة : أخائفٌ عليّ بعدُ من دومنتيانوس ؟

شطا : نعم . من يدري ؟

ارمانوسة : لا تخَفْ يا شطا فاني أستطيعُ ان أحمِيَ نفسي .

شطا : انه يُجيد الغَزَلَ وأنت تحبين كلماتِ الغَزَل !

ارمانوسة : اطمَئِن يا ابن خالتي .. هذه تدُخل من احدى أذُنَيّ وتخرج من الأخرى

شطا : ما زلتُ أخاف عليكِ يا ارمانوسة .. من شيء آخر ..

ارمانوسة : من أي شيء ؟

شطا : من حكمة خالي وأُناته !

المقوقس : (يضحك) اطمئن يا بني فان حكمتي وأناتي ستكونان دائماً لك لا عليك . لا بأسَ يا ارمانوسة إبقي هنا عند خالتك وان كان بيتي في أشدِّ الحاجة اليك . ان ابن خالتك مُحِبٌّ والمُحِب دائماً ينتحل الاعذارَ لتكونَ حبيبتُه إلى جانبه .

ارمانوسة : كلا يا خالي انه لن يُقيمَ معنا في دمياط .

الثلاثة : (في صوت واحد) ماذا تقولين ؟

ارمانوسة : اسألوه

شطا : أجل اني راحلٌ .

الثلاثة : إلى أين ؟

شطا : إلى الغَرَما .

هيلانة : ماذا تصنعُ هناك ؟ هناك الحربُ . العربُ هناك يحاصرونها .

الهاموك : أتريد أن تُقاتِل معهم ؟

هيلانة : اياك يا ولدي أن تفعَل . ليس لي غيرُك

يا شطا فلا تجعلني أثكلك .

شطا : كلا يا اماه لن اشترك معهم في القتال ولكني سأدلُّهم وارشدُهم واعاونهم جهدي وادعو الناسَ إلى مُعاونتهم بكل سبيل.

الهاموك : وأي فرقٍ بين ذلك وبين القتال ؟ ويلكِ ماذا يكونُ مَصيري اذا بلغَ القيصرُ ان ابنَ عامِلهِ على دمياطَ قد انضمَّ إلى اعدائه الغزاة ؟

شطا : اطمئن يا أبي فلن يعلمَ احدٌ انني ابنك . سأتّخذُ لي اسماً آخرَ لا يَمُتُّ إلى الهاموك بصلة .

الهاموك : مثلك يا بنيّ لا يمكن أن يخفى امرُه هناك ، وللروم عُيونٌ وجواسيس في كل مكان .

شطا : إذن فأيقِنْ يا أبي أن امري لن يبلغَ قيصر الا وقد شغلتْه أنباءُ أخرى أفدح

وأخطر .

الهاموك : ماذا تَعْني ؟

شطا : اعْني انتصارَ هؤلاء العرب وهزيمةَ الروم.

الهاموك : وما يُدريك ؟

شطا : عجباً او تشُكُّ يا أبي بعدُ في ذلك ؟ ألم تَرَ ما حدثَ للروم في الشام ؟ وكيف نُفخَ في أهل مصر روحُ الأمل في الخلاص ؟ انظرْ إليّ .. ماذا ترى يدفعُني إلى مساندة هؤلاء العرب وأيُّ شيء يربطُني بهم ؟

الهاموك : اسأل نفسَك .

شطا : لا شيءَ غيرُ الحقد على الروم والرغبة في الخلاص من حُكْمهم. هذا وأنا ابن الهاموك عامل قيصر على دمياط ، وابن اخت المُقَوْقِس واليه على مصر ، فما ظنُّك بالذين لا يَدِينون لقيصرَ إلا بالظلمِ والاضطهادِ من سَوادِ هذا الشعبِ ؟

المشهد الرابع

هو في حصن بابليون
المقوقس وعنده قواد الروم في مصر
كأنه يعقد معهم مجلساً حربياً للتشاور .

الأطربون : واحسْرتاه على يوم القلزم .

المقوقس : ما مضى فاتَ يا اطربون .

الاطربون : كلا يا سيدي البطريق تلك زلّةٌ لا ينبغي أن ننساها أبداً .

المقوقس : لا يستطيع أحد أن يجْزمَ بأنها كانت زلة .

الاطربون : بل كانت زلةً كبيرة .

المقوقس : تذكر ان طلائعَ الجيش العربي كانت قد جاوَزَتْ العريشَ يومئذ في طريقها إلى الفَرَما .

الاطربون : وتذكر ان سفُنَنا وعليها ثلاثون الفاً كانت

متأهِّبَةً يومئذ للإقلاع من القلزم فلو تركتُمونا لبلغنا ساحلَ بلادهم قبل أن يبلغَ جيشُهم الفرما ، وإذن لربَّما سقطَت عاصمتُهم في أيدينا قبل أن تسقُطَ الفرَما في أيديهم .

المقوقس : وما يدريك يا اطربون ماذا كان مخبُوءاً لكم في صحراءِ بلادهم ؟

الاطربون : بل كنا سنجدها خاليةً من المقاتلين لأن هؤلاء موزَّعون في بلاد الشام والجزيرة والعراق .

المقوقس : أجل لقد أجمعنا على هذا الرأي في مجلس قيصر ولكن ما كان يدُور ببالِنا يومئذ انهم سيسبقُونَنا إلى غزْو مصر . أما وقد دخلوا أرضنا فليس من الحكمة أن نتركَهم في أرضنا ونقاتلَهم في أرضهم .

تيودور : هذا واضحٌ جداً يا اطربون لا جدالَ فيه .

الاطربون : وماذا كان يمنعُكم من قتالهم وقد بقي عندكم ثمانونَ الفَ مقاتلٍ ؟

تيودور : اكنت تريد ان نسْحَبَ حامِياتنا من مصالحِها ؟

اودوقيانوس: اوَما تخْشى عليها من القبط ؟

الاطربون : ماذا عساهُم أن يفعلوا وليس معهم سلاحٌ ؟

اودوقيانوس: سلاحُهم في قلوبهم التي يأكلها الحقدُ علينا أكلا . ألَمْ ترَ ماذا فعلوا في الفرما ؟ ما كان العربُ ليقدروا عليها ويقتحِموا أسوارَها المنيعَة لولا معاونةُ أهلها القبط .

الاطربون : أوقد صدّقتمُ هذه الفرية التي اختلقْتمُوها بانفسكم لتتَنصّلُوا من تبعة الهزينة ؟ لقد حاصرها العرب شهراً كاملا فصبر حماتُها على اللأْوَاء في انتظار وصول مددٍ منكم فلما يَئِسوا من المدد يَئِسوا كذلك من النصر فخرجوا مستقتِلِين فوثَبَ

العربُ إلى باب المدينة فملكوه عليهم ثم اقتحموه .

تيودور : يخيّل إلي أن الاطربون يريد أن يعزو كلَّ هزيمة لحقتْنا أو تلحقُنا إلى مُخالفتنا لرأيه السديد .

الاطربون : أجل . ما كانت الفرما لتسقُطَ في أيدي العرب أو انكم عملتم برأيي ولم تتركوها بغير مدد .

تيودور : ليس الرأي أن نقاتل هؤلاء العرب في الصحراء فلو أرسلنا المدد إلى الفرما لبادَ ذلك المددُ ولسقطت الفرما كذلك .

الاطربون : هذه كانت الزلة الثانية .

تيودور : عجباً لك يا أطربون . أو تَعُدّ كل رأي يخالف رأيك زلة ؟

اودوقيانوس: وأعجب من ذلك انه عارضَ مسيرَ الجيش للقاء العدو في بُلْبيْس .

تيودور : أجل . ما زلت يا أطربون تحرّض على حرب العرب تارةً في بلادهم وتارةً في الفرما فلما ازمَعْنا ان نُلاقيهم دون بلبيس قلت انتظرُوا حتى نبعثَ اليهم رُسُلا ليفاوضوُهم .

الاطربون : ستَرَوْن غداً ان ذلك هو وجْهُ الصواب

تيودور : لا غَرْوَ ان تقولَ ذلك لاننا عملنا برأيك

الاطربون : انكم لا تعرُفون قائدَهم عَمْراً هذا . انه يقاتل بالمَكْر والدَّهاء اكثرَ ممّا يقاتِلُ بالسيفِ .

تيودور : لهذا تركنا لك ان تتولَّى امرَه لنرى ماذا انت فاعل

الاطربون : سترون غداً ما انا فاعل .

المقوقس : خبرني يا اطربون اليس عمروٌ هذا هو صاحبُك الذي خدَعك في حصن اجنادين ؟

الاطربون : (في شيء من الامتعاض) بلى هو بعينه .

اودوقيانوس : خدَعك .. كيف خدعك ؟

المقوقس : قصةٌ مشهورةٌ ألم تسمع بها قط يا اودوقيانوس ؟

اودوقيانوس : لا والله .

المقوقس : حضر عمرو هذاذات يوم عند الاطربون في حِصْن اجنادين يفاوضه فعَرَفَ الاطربون انه اميرُ جيش العرب ..

الاطربون : كلا يا سيدي البطريق ما عرفته ولكن أحسَسْتُ من حديثه وسلوكه انه هو الأميرُ أو من يرجع الأميرُ إلى رأيه ومشورته .

اودوقيانوس: ولماذا لم تقطع رَقَبَتَه ؟

الاطربون : بعثت في أثَرِه من يقتله عند الباب .

اودوقيانوس: فكيف بَقِيَ حياً حتى اليوم ؟

الاطربون : (يفقد صبره) أوه . أحكِ له القصة يا سيدي البطريق .

المقوقس : لم يشْعُرْ الاطربون إلا بهذا الماكرِ يرجعُ اليه ويقولُ له : ماذا قالَ لك يا اطربون ؟

الاطربون : سيقاطعُني هذا العُتُلّ الثقيل .

اودوقيانوس: كلا لن اتفوّه بكلمة .

الاطربون : قال لي اني اقتَنَعْتُ بحديثكِ ولكن الأمرَ ليس لي وحدي فنحن عشَرَة يرجع إلى رأينا اميرُ الجيش ، فان شئتَ جئتُك بهم جميعاً حتى تكلمَهم بمثل ما كلمْتَني فتقنعَهم كما اقنَعْتني ، فاني لا أستطيعُ اقناعَهم وحدي . فأمرْتُ بالكفِّ عنه حتى يَجيءَ بالتسعة الباقين فاقتلَهم جميعاً .

اودوقيانوس: تلك هي الزلة الكبرى يا اطربون . لو كنتُ مكانك لقتلتهُ ولَمَا انتظرت التسعَةَ الباقين .

الاطربون : الآن بعدما علمت انه خدَعني ؟

اودوقيانوس: ما كان لك ان تأتيَها وأنت عنـــدنا من الموصوفين بالدَّهاء والمَكْر .

الاطربون : (ساخراً في حنق) يا عزيزي اودوقيانوس لم يهبْني الله ما وَهبك من الذكاء والفطْنة .

اودوقيانوس: اذن فـلا تتشامخْ علينا بحكاية هـذه القصة فانها تدلُّ على نقيض ما تزعمُهُ لنفسك .

الاطربون : أتريد يا هـــذا ان تستفزَّني ؟ ان كلماتِك الجوفاءَ هذه أهونُ عندي من ذلك .

اودوقيانوس: (للمقوقس وتيـودور) خبراني انتما هـل تعتَقِدان ان هـذا القائدَ العربي رجلٌ دَاهِيَةٌ ؟

الاثنان : لا شك في ذلك .

اودوقيانوس: فكيف اذن وافقتما على اسنـاد قيادَتِنـا في حربه إلى الاطربون ؟

تيودور : انه يعرفُ الرجلَ خيراً منا جميعاً فقـــد كان خصمَه في فلسطين .

اودوقيانوس : المهم ان يغلب خَصْمَه لا أن يعرفَه .

المقوقس : لا تستطيع أن تغلب خصمك إلا إذا كنت تعرفه حقَّ المعرفة .

(يدخل جورج قائد الحصن)

جورج : الاسقُفان يا سيدي البطريق قد حضرا من بلبيس .

المقوقس : مرحباً بهما .. ادخلهما يا جورج .

جورج : أبا مريم .. حنّا .. ادخلا .

(يدخل ابو مريم وحنا)

المقوقس : خبراني كيف لَقِيَكما القائدُ العربي .

ابو مريم : حيانا ولقينا أحسنَ لقاء .

تيودور : وأين لقيكما ؟

ابو مريم : في خيمة ضُرِبَت له خارج بلبيس حيث عَسْكَرَ برجاله .

المقوقس : ابلّغْتُماه رسالتي ؟

ابو مريم : نعم .

المقوقس : فماذا قال ؟

ابو مريم : قال ان عظيمَكم المقوقسَ لَيَعلمُ اننا ما جئْنا لنستجدِيَ منكم وانما ندعوكم إلى الاسلام ، فمَنْ أجابَنا فمِثْلُنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزيةَ وبذلنا له المَنَعَة. قلنا له : ومَنْ لم يجبْكم ؟ قال : قاتَلْناه حتى يحكمَ اللهُ بيننا وبينه . ثم أخذ يحدثنا أن نبيَّهم محمد أعلَمَهم انهم سيفتحُون بلادَنا وأوْصاهم بنا خيراً لرَحِمِهِم فينا وان لنا بذلك إن اجبْناهم ذِمَّةً إلى ذِمَّةٍ .

تيودور : أي رَحِمٍ يَعْني ؟

ابو مريم : يعني ان هاجرَ أم اسماعيل من القِبْط واسماعيل ابو العرب فهاجر أم العرب .

تيودور : فماذا قلتما له ؟

ابو مريم : اتذكر يا حنا ماذا قلنا له ؟

حنا : نعم قلنا له : هذه قرابة ما ابعَدَها !

(يقهقهون ضاحكين ما عدا المقوقس وجورج)

المقوقس : ثم ماذا ؟

ابو مريم : ثم سألناه أن يُمْهِلَنا حتى نعودَ اليه بما استقرَّ عليه رأيُكم فأبى أن يُمْهِلَنا غير ثلاثة أيام فراجَعْناه في المُهْلة فأعطانا يومين آخرين .

اودوقيانوس : اذن فقد انقلبْتُما رسولَيْن لاقربائكما العرب !

الاسقفان : معاذ الله . انما نحمِلُ جوابَ العرب على رسالتكم .

اودوقيانوس: لا لومَ عليكما .. اللومُ على من اقترحَ ان نفاوِضَهم حيثُ كان يجبُ أن نقاتِلَهم .

الاطربون : أمُتَعَطِّشٌ أنت الى قتالهم يا اودوقيانوس؟

اودوقيانوس: نعم .

الاطربون : فاستعدّ للسيرِ معنا الليلة !

الجميع : الليلة ؟

الاطربون : أجل .

المقوقس : فِيمَ العجلةُ يا اطربون ؟ ان لدْينا اربعةَ أيام غير اليوم للتفكير والتدبير .

الاطربون : يا سيدي البطريق اني قد فكّرتُ ودبّرتُ من قبل .

ابومريم : لكن هذا الذي جئنا به يعتبر هُدْنةً ولا يصح في خلالِها ان يعتديَ احدُ الطرفين على الآخر .

الاطربون : انتما لا يصح لكما ذلك. فأما نحن فلم نَرتَبِطْ لهم بشيء .

حنا : ليتنا ما طلبنا مدَّ الهدنة ما دمتم تريدون المسارَعة بالقتال .

الاطربون : كلا ان هـــذا الذي فعلتماه لأفضلُ شيء فعلتماه في حياتكما كلها لقد بثثتما الطمأنينة في نفوسهم فلَنُبيّتنهم الليلة بغتة وهم

لا يشعرون .

اودوقيانوس: مرْحى يا اطربون . الآن ادركتُ انك اصلحُ من يقودُنا في حرب هذا الرجل.

ابو مريم : هذا غدرٌ لا يليق بنـــا نحن اتباعَ السيد المسيح .

الاطربون : أليس ذلك أفضلُ مـــن أن ندَعَ هؤلاء يقْضُون على دين المسيح في مصر ؟

ابو مريم : كلا انهم لن يقضُوا على دين المسيح في مصر كما لم يقْضُوا عليه في الشام .

الاطربون : ماذا تقول ؟ أأنت مع العدو وعلينا ؟

حنا : (كأنه يسرع لنجدة رفيقه) ان ابا مريم يقصِدُ ان دين المسيح لا سبيلَ إلى القضاء عليه ابداً . لا في مصر ولا في غير مصر .

ابو مريم : أجل هذا ما اردْتُ أن اقوله .

الاطربون : لا تحاوِلاَ ان تخدَعاني فاني لا أُخدَع .. انتما خائنَان .

اودوقيانوس: أجل هذه خيانة .

المقوقس : رويدَك يا اطربون : رويدك يا اودوقيانوس . لا حقَّ لكما ان تَمَسَّا رجالَ الدين . ان قيصر نفسه ليحترَمهم .

اودوقيانوس: قيصر لا يحترم الخائنين !

المقوقس : ان الذي يدعو إلى آداب المسيحية ومُثُلها العليا لا يمكن ان يُعتَبرَ من الخائنين .

الاطربون : لسنا الآن في كنيسة فنستمع إلى نصائحهما الدينيـــة . نحن الآن في حرب مع هؤلاء الغزاة فما دخولُهما فيما لا شأنَ لهما به ؟

المقوقس : إن عليهما أن يبشّرا بآدَابِ المسيح حيثُما كانَا ، داخلَ الكنيسة وخارَجها ، ولكما ان تعملاَ بها أو لا تعمَلا بها ، هذا شأنُكما انتما ، ولكن ليس لاحدٍ ان يمنَعَهما عن القيام بواجبهما أو يلومَهُما على ذلك .

الاطربون : يا سيدي البطريق أو لستُم قد اسنَدْتم

القيادةَ إليّ في حرب هذا الثَّعْلَب العربي؟

المقوقس : بلى .

الاطربون : فاني لا أقبلُ أيَّ اعتراض لا من رجالِ الدين ولا من غـــيرهم . لي عليكم السمعُ والطاعةُ ولكم عليّ الغلبةُ والنصرُ .

المشهد الخامس

دير في جبال صحراء قوص

يُرى البطريق بِنْيامين وهو كهْل في الخامسة والخمسين جميل الهيئة ذو مَهابة ووَقار وعنده القس شُنُودَة والراهبة انجيلا .

انجيلا : يا ابانا البطريق . هذه فرصةٌ ساقَها اللهُ الينا للانتقام من هـــذا الخلْقِيدُوني المخادِع فكيف نُضَيِّعُها ؟

بنيامين : انجيلا يا أُخْتَاه دعي الانتقامَ جانبـاً وانظري إلى ما فيه خيرُ جماعتِنا القبط .

انجيلا : خير جماعتنا في ازاحة عدوّهم هذا المقوقس الطاغيةِ .

بنيامين : اليوم يا انجيلا ؟ بعدما اختلَفَ الوْضعُ ؟

انجيلا : الوْضعُ لم يختلِفْ فهو هو عدونا الأكبرُ دائماً ابداً .

(يدخل القَسُّ ميخائيل)

ميخائيل : بالباب زائر عزيز يا ابانا البِطْريق .

بنيامين : من هو ؟

ميخائيل : القائد سنوتيوس .

بنيامين : سنوتيوس القُصَيْرِيّ ؟

ميخائيل : نعم .

بنيامين : اهلاً به . قل له يدخل .

(يخرج ميخائيل ثم يعود ومعه سنوتيوس متنكراً في غير زيِّهِ الرَّسْمِيّ) .

بنيامين : (مرحباً باسطاً ذراعَيْه) اهكذا يرْتَدِي قُوَّادُ الروم اليوم ؟

سنوتيوس : عما قريب يا ابانا البطريق .. عما قريب .

شنودة : لا نريد بقاءَهم في بلادنا البَتَّة لا بزيهم الرسمي ولا بغَيْره .

سنوتيوس : لا تعجل يا أب شنودة . ما زالَ دونَنا خطوبٌ وأهوالٌ قبل أن تستريح عظام

أمي في قبرها .

انجيلا : وما شان المرحومة أمك في هذا الصدد ؟

سنوتيوس : الا تدْرِين ما شأنها ايتها الأخت المبجَّلة ؟ انها لما وَضعَتْني من بطنها سمَّتْني شنودة ولم تسمّني سنوتيوس .

(يضحكون)

فاحمَدْ ربَّك يا اب شنودة إذ بَقِيت كما سمَّتْك أمُّك .

بنيامين : انك دائماً مَرِح تَفيضُ بالبهجة ياسنوتيوس.

سنوتيوس : أجل يا ابانا البطريق حتى لأخشى أن يَجيءَ يومُ الخلاص فلا أجدُ ضحكةً اطلِقُها مع الضاحكين .

ميخائيل : لا تَخفْ يا سنوتيوس . ساعيرُك يومئذ ضَحِكاتي .

سنوتيوس : وأنت يا أب ميخائيل ؟ أتبكي يومئذ وتنتحِبُ ؟

(يضحكون)

بنيامين : قل لي يا سنوتيوس ماذا جاء بك عندنا في مثل هذا الوقت العَصِيب ؟

سنوتيوس : (في جد واهتمام) ان الرجلَ يعرفُ مَقْرِكَ !

بنيامين : مَنْ ؟

سنوتيوس : قيرس .

الجميع : (في ارْتِياعٍ) قيرس ؟

بنيامين : (في ثَباتٍ) كيف ؟ كيف عَرَف ؟

سنوتيوس : لا أدْري .

انجيلا : وأنت يا أبانا البِطْرِيق تدافعُ عنه وتَأبى أن تَمسَّه بسُوء . أعْلِن لهم خيانَتَه قبل أن يبعثَ زبانِيَتَه للقبْضِ عليك .

سنوتيوس : ماذا تعني الأخت انجيلا .

انجيلا : وقَعَت في أيدينا وثيقةٌ تُدِينُه بالخيانَةِ والتواطُؤِ مع هؤلاء العرب .

سنوتيوس : هل لي أن أرى الوثيقَةَ ؟

بنيامين : ارَها له يا شنودة .

شنودة : (يناولها لسنوتيوس) رسالة كتبَها إلى ارمانُوسة ابنة أخته .

انجيلا : بخَطِّ يدهِ .

سنوتيوس : (يتصفح الرسالة) كيف وصلَتْ هذه اليكم ؟

بنيامين : الفضلُ لصاحبنا في حصن بابليون .

سنوتيوس : القائدُ جورج ؟

بنيامين : نعم .

انجيلا : ما رأيك فيها أيها القائدُ ؟

سنوتيوس : يا لَها من وثيقةٍ .

انجيلا : أليس علينا ان نرفَعَها إلى قيصر لينال هذا الْخلِيقيدُوني جَزاء ما اجترَحتْ يداه ؟

سنوتيوس : ذاك لو كنا ظفرْنا بها من قبلُ

انجيلا : واليوم ؟

سنوتيوس : كلا يا أختاه . ان الوضع قد تغيّر اليوم .

انجيلا : أنت ايضاً تقول هذا القول ؟

سنوتيوس : هذه الوثيقة تؤيد لي صدقه واخلاَصه فيما بعثَنِي اليوم من أجله

الجميع : هو الذي بعثَك ؟

سنوتيوس : نعم .

بنيامين : إليَّ أنا ؟

سنوتيوس : نعم .

بنيامين : عرف انك على صِلَةٍ بي ؟

سنوتيوس : لا ادري ولكنه عَيَّنَ لي مكانَك وكلَّفَني ان احمِلَ هذه الرسالةَ اليك (يناوله رسالة) .

بنيامين : (يفضّ الرسالة ويتصفَّحُها) عجيب !

الجميع : ماذا فيها يا ابانا ؟

بنيامين : (يتلو الرسالة) اني أريد ان اكفِّرَ عن

السيئآت التي ارتكبْتُها في حـــق قومي القبط . فهل لك يا أخي البطريق الصالح ان تعاوِنَني على ذلك وعلى تحْرير قومِنا من ظلم الروم وظغيانِهـــم والمحافظة على حقوقهم عند العرب (يضع الرسالة بـــين ايديهم فيتصفحونها مَدْهُوشين) .

انجيلا : لا ريبَ انه يريد ان يخدَعك ويكيدَ لك .

ميخائيل : كلا يا انجيلا لو اراد ذلك لارسل زبانيتَه فقبضُوا على ابينا البطريق ، ولمـــا بعثَ برسالة كهـــذه تدِينُه هو بخيانَةِ قيصر الروم .

انجيلا : ان له أساليبَ في المكر والخديعة لا يعرفها حتى الشيطان .

بنيامين : أنت لقيته يا سنوتيـــوس وواجَهْتَه ، افتراة صادقاً فيما زَعم من النَّدَم والرغبة في التوبَةِ والتفكير ؟

سنوتيوس : أغلبُ الظن أنه صادقٌ ..

انجيلا : أغلب الظن ..

شنودة : هذا لا يكفي ياسنوتيوس ..

ميخائيل : هبُوا انه غيرُ صادق في ذلك افلا يكْفِينا انـه قد انقَلَب على سادَتِه الروم وصار يسْعَى للقَضَاء على سلطانهم في مصر ؟

انجيلا : ليكونَ السلطانُ فيها لسادته الجدد .

ميخائيل : هذا حق ولكن سلطانَ العرب على كل حال اهْوَنُ علينـا من سلطان الروم . انهم لن يضطهِدُونا في العقيدَة وهـذا وحده غُنْمٌ لنا كبير .

سنوتيوس : صدقت يا أب ميخائيل . هذا هو الرأيُ .

بنيامين : أين الرجل الذي عهدت به اليك يا شنودة ؟

شنودة : موجود يا ابانا البطريق .. انزلته في بيت زكريا أخي .

بنيامين : اذهب فأحضرْه الآن .

شنودة : أدخلُ به هنا عندك ؟

بنيامين : نعم . ما بَقِي من داعٍ للتخوُّف منه الآن .
(يخرج شنودة)

انجيلا : أليس الاحتياطُ في أمره افضلَ بعد ؟

بنيامين : الآن بعد ما عرف المقوقس مَقَرِّي وجاءني القائدُ سنوتيوس برسالة من عنده ؟

سنوتيوس : مَنْ يا أبانا هذا الرجل الذي تتحدثون عنه ؟

بنيامين : رجلٌ أمرُهُ عجيب : عربي يرْتدي الزيَّ القبطي ويزعم ان اصلَه من القبط ويحملُ لي رسالة من قائدِ العرب .

سنوتيوس : رسالة باسْمِك أنت ؟

بنيامين : نعم .

ميخائيل : ولا يعترِفُ فيها ببطريق للقبط سواه .

سنوتيوس : وكيف اهتَدَى إلى هنا ؟

ميخائيل : سألناه هذا السؤالَ فحكى لنا قصة عجيبة .

سنوتيوس : كيف ؟

ميخائيل : قال انشيخاً كبيراً من اتْباع ابينا البطريق في أنْصِنا هو الذي دلّه وأوصاه أن يأخذَ حِذْرَه من عيون الروم .

سنوتيوس : وكيف عرف هو ذلك الشيخَ ؟

ميخائيل : سألناه هذا السؤال فحكى لنا قصة أعجب وأغرب .

سنوتيوس : كيف ؟

ميخائيل : قال عن نفسه انه كان من نقيوس فسُبيَ وهو غلامٌ في غزْو الفرس لمصر وبيعَ في أرض العرب ، فكان من حظه ان مَلَكه النبيُّ فأعتَقَه النبيُّ ثم حدثنا ان مولاه النبي اصطَفَى جاريةً مصرية تدعى مارِيَةُ القبطية فتزوّجها وان ماريةَ هذه هي التي ذكرَتْ له اسمَ هذا الشيخِ ووصفَتْ له مكانَه في قرية حفن وناشدَتْه إذا ما دَخل مصرَ ان يبلّغ سلامَها اليه .

سنوتيوس : حقاً انها لِمْن اعجب القَصَص .

انجيلا : من يدري لعله اختَرَعها من خياله .

بنيامين : اما زِلْتِ يا انجيلا في رَيْب من أمره ؟

انجيلا : نعم . يَريبني في صدقه ان لسانه يتعثَّرُ باللغة ولا ينطلِقُ بها .

ميخائيل : هذا لأنه كان قد نَسِيَها إذ اقام في بلاد العرب خمساً وعشرين سنَةً ولكنّ نطقَه لها نطقٌ سليم لا يمكن ان يصدرَ الا من قبطي صميم .

بنيامين : صه . ها هو ذا شنودة قد اقبل به .

(يدخل شنودة ومعه ابو رافع في زي القبط) .

بنيامين : اهلاً ابا رافع .

ابو رافع : الحمدُ لله إذ وَثِقْتَ بي آخر الأمر فاذِنْت لي بالمثول بين يديك .

بنيامين : سامِحْني يا أبا رافع فيما قَضَتْ الضرورةُ

باتّباعه معك ، فاني اتَنَقَّلُ هكذا من مَخْبَأٍ إلى مخبأ منذ عشر سنين . ولولا خَوْفي على شُعْلة العقيدة التي احملُها ان يطفِئَها هرقل واعوانهُ لسلمت نفسي اليهم فاستَرَحت من هذا العذاب الطويل .

ابو رافع : ايها الحَبْرُ الجليل ما اجمل هذا التواضعُ منك . ولا غرْوَ فان الله تبارك وتعالى يقولُ عنكم في كتابه العزيز : ولَتَجِدَنَّ أقْرَبَهم مَودَّةً للذين آمنُوا الذين قالوا إنا نَصَارَى ذلك بأن منهم قِسِّيسِين ورُهْبَاناً وانهم لا يستَكْبِرُون .

بنيامين : أهذا في الكتاب الذي أُنزِل على نبيكم محمد ؟

ابو رافع : نعم .

بنيامين : ما أحسنه من قولٍ كريم .

ابو رافع : أبشِرْ يا بنيامين . عما قريبٍ تظهَرُ على اعدائك وتعود إلى أهل مِلَّتِك واوْليائك

المشهد السادس

جانب من معسكر المسلمين خارج بُلَنْبيس يرى على ضوء النار الموقدة للتدفئه في المكان شاب راقد على فراشه في الأرض وعليه أربطة تدل على انه من الجرحى وقد جلست قريباً منه أم ذر كأنها تسهرُ عليه وفي ركن من المكان ترى أم الدرداء قائمة تصلي. الوقت آخر الليل .

أم الدرداء : (تسلم من صلاتهـــا) يا أم ذَرّ الا توقظين أمَّ ايُّوب الساعة لتحلَّ محلك وتستريحي أنت ؟

أم ذر : بعد قليل يا أم الدَّرْدَاءِ .

أم الدرداء : قد آن لك أن تأخذِي قسْطَك من النوم .

أم ذر : احسبان النومَ قد طارَ من عيني يا اختاه.

أم الدرداء : ويحك ما الذي اطاره ؟

أم ذر : سرَحَ بي الخيالُ فتذكرتُ اذ كنا بالشام عامَ أول ومعنا أمُّ حَرام بنت مِلْحان . والله لقد اشْتَقْتُ إلى أم حرام .

أم الدرداء : اي والله ان بنا لشوقاً اليهـــا ولكن ماذا أذكرَها ببالِك الساعة ؟

أم ذر : لا ادْري .. لعلها تذكرُنا هي الساعة وهي تَتَهَجَّدُ في بيتها بالمدينة .

أم الدرداء : يقول ابو الدرداء انه يتوقَّع ان يلحَقَ بنا عبادُةُ بن الصَّامِتِ عما قريب .

أم ذر : ومعه أم حرام أم وحده ؟

أم الدرداء : لو اراد المجيءَ وحده لكان قد لحق بنـا من قبل . ولكنه لا رَيْب انتظر أم حرام حتى تَتَعَلّى من نِفاسِها ليأتيَ بها معه .

أم ذر : والطفل الرضيع ؟

أم الدرداء : ستعهَدُ به إلى اختها أم سليم كما فعلت بأخيه من قبل .

أم ذر : عسى الله أن يأتيَ بها قريباً يا ام الدرداء فيجتمع شملُنا مرة اخرى .

أم الدرداء : ان شاء الله . هيـــا اذهبي الآن فايقِـظِـي أم ايوب .

أم ذر : بعد قليل .

أم الدرداء : لا والله لأذهـبَنَّ أنا لايقاظِها (تخرج) .

أم ذر : (تنظر إلى شطا) ويْحَ هذا الشاب القبطي ترى ماذا تَصْنَـع امُّـه ؟

(تعود أم الدرداء ومعها أم أيوب وهي تَفْـرُك عينَـيْـها من النُّعاس)

أم ايوب : هيا اذهبي أنت يا أم ذر فنامي .

(يدخل ابو ذر وابو الدرداء وابو ايوب)

ابو ذر : هيه كيف أنتم ؟

أم ذر : الحمد لله .

ابو الدرداء : وكيف جريحُكم ؟

ام الدرداء : ويحه .. لا هو يفهَـم كلامنا ولا نحن نفهم

كلامَه .

(يعطي كل واحد منهم لزوجته مُدْيَةً أو خِنْجَـراً)

الثلاث : ويحكم ما الخطب ؟

الثلاثة : لا خَطْـبَ . ولكن الاميرَ يتوقع غـدْرَ العدو في كل لحظة .

(يظهر قيس بن ابي العـــاص السهمي ووردان) .

قيس : أجل .. اعطاهم عَهْـداً بالهُـدْنة وهو يعـلم انهم سيغْـدِرُون .

ابو ذر : جئتُما لتحرسَا معنا ؟

قيس : نعم .. هذا ما أمرنا به الأمير .

وردان : والله ان النوم لفي عيوننا لا نستطيع أن نغلبَـه .

ابو ايوب : لقد أمركم أن تناموا بالنهار لتَسهرُوا بالليل فهلاّ فعلتم ؟

قيس : يا صاحب رسول الله ان الله جعل الليل لباساً والنهارَ مَعاشاً .

ابو ذر : ويحكما .. أوقد شقَّ عليكما سَهرُ ليلة واحدة ؟

قيس : لا والله ما بنا ذلك وانما يعزُّ علينا ان نقفَ أمام هذه المدينة خمسة أيام لا حق لنا في اقتحامها ثم لا نأمَنُ نحن غدْرَهم خلال ذلك طَرْفَة عَيْن .

ابو ذر : أوليس قد أمْضى اميرُنا معهم ذلك !

قيس : بلى .

ابو ذر : فقد وجب علينا أن نلتزمَ به .

ابو ايوب : هلم بنا .

ام ايوب : إلى أين تذهبُون ؟

ابو ايوب : إلى حيث نحرسُ المسلمين لننذِرَهم ان كان كون .

قيس : سنبيت بالعراءِ يا أم ايوب .

أبو ذر : لِيَبْقَ المسلمون في خيامهم يا قيس فيكونُ لنا بذلك اجرٌ عند الله عظيم .

قيس : ما كنا لنُحْمَل على ذلك لولا هذا العهْد الذي اعطاه لهم .

أبو ايوب : يا ابن أبي العاص ليس الجهادُ هو القتال وحده . ان افضلَ الجهادِ هو هذا . هو ان تَبِيتَ ليلك ساهِراً على المسلمين وأنت في العَرَاء وهم في الخِيام .

أبو ذر : هلم يا رِفاقُ .

(يخرج الخمسة)

(تقعد أم ايوب حول الجريح وتواصل أم الدرداء صلاتها وتخرج أم ذر لتنام) .

(يهتز شطا الجريح وتعروه البرداء) .

أم ايوب : ويحه ماذا بـه ؟ (تجس جبينه) يالله من وَقْدة الحُمَّى .

(تلقى عليه من الأغْطِية ثم تعمَدُ إلى

الموقد فترمي الحطب فيه) .

شطا : (يهذي) ارمانوسة .. ارمانوسة !

أم أيوب : ويحه .. لا أدري ماذا يريد .

أم الدرداء : (تسلّم من صلاتها) دعيه فانه يَهْذِي من الحمى .

(تدخل ريطة زوجة عمرو بن العاص)

ريطة : هذا أيضاً يَهْذِي بارمانوسة ؟

أم ايوب : نعم أتعرِفين يا أم عبد الله ماذا يريد ؟

ريطة : يريد ارمانوُسة .

أم ايوب : وما ارمانوسة ؟

ريطة : هذا اسمُ ابنـــة اخت المقوقس . اتعرفين يونس بن مرقص .

أم ايوب : ذلك الفتى الدمشقي صاحب رومانوس ؟

ريطة : نعم .

أم ايوب : ما بالُه ؟

ريطة : كان يهذي باسمها ايضاً اذ كان جَريحاً عندنا .

أم ايوب : وسألتموه عنها ؟

ريطة : أخبرني زوجي ان يونس كان قـــد رأى ارمانوسة هذه في بيت المقدس فشَغَفَتْه حُبّاً .

(تسمع حركة وضجة من بعيد) .

ام ايوب : وي ما هذا .

ريطة : هذه هيصة ! لا ريْب ان كوناً كان ! (تهم بالخروج) .

(يدخل عمرو بن العاص وهو شاكي السلاح ومعه ابن ابي سرح ورومانوس ويونس وعبد الله بن عمرو) .

ريطة : ما الخطب يا ابا عبد الله ؟

عمرو : لا تُرَعنْ . ان الروم قد غَدرُوا بنا ولكنا كنا قد توقّعْنا ذلك منهم فلم يأخذونا على غِرة (للرجال) دونكم هذا الجانب الذي فيـــه النسوةُ والجرحى فاحرُسوه ولا

تبرحُوه ابـــداً مهما يكنْ الامر (يخرج مسرعاً) .

شطا : (يستيقظ من الضجة والجلبـــة وصهيل الخيل) ما هذا ؟ أوقد هجم العدو؟ (يحاول الجلوس فلا يستطيع) .

رومانوس : ابقَ يا بني على فراشك .

شطا : أوقد غَدَرَ الروم ؟

رومانوس : نعم وكنا نتوقع ذلك فلم يأخذُونا على غرة.

شطا : (يتمتم في حقد وغضب) تباً لهم ! جبناء ! أنذال !

المشهد السابع

ميدان في مدينة بَلبَيس يرى عمرو بن العاص في خيمـــة له وأسرى الروم يعرضون عليه واحداً بعد واحد ، يدخل بهم الجند من باب ويخرجون بهم من باب آخر وعنده عبـد الله بن عمرو وابن ابي سرح ووردان يساعدونه.

ابن عمرو : لا تُتْعب نفسك يا أبي فلن تجدَه في الاسرى.

ابن ابي سرح: أجل لا بد انه كان فيمن فروا من الميدان .

وردان : أو في القتلى .

عمرو : ويلكم ألم انذركم تلك الليلة بانه سيفعلها ؟

الثلاثة : بلى .

عمرو : افلم تكذّبوا جميعاً ما ظننت .

الثلاثة : بلى .

عمرو : فكذلك أُلقِي في رُوعي اليوم ان اللعين استأْسرَ بين الأسرى ليجـــدَ مني غفلة فيغتالَني . اني أعرف كيدَه .

ابن عمرو : يا أبتا انهم جميعاً مقيّدون في الحصن الكبير وعليهم حراسٌ فماذا تخاف ؟

عمرو : (محتداً) يا ابن ريطة ليس الخوف ما بي ولكني لا أرض أن يكيد لي فلا أُحبطُ كيدَه .

ابن عمرو : أكلُّ هذا الرَهقُ يا أبي من أجل ان تُرينا مكرَك ودهاءَك ؟

عمرو : (يكظم غيظه) اللهم ارزُقني حِلْماً . ويلكم ان كنتم تعبتُم فاخبروني لآتي بغيركم .

ابن ابي سرح: كلا يا أبا عبد الله ان كنت ترغَبُ في المُضيّ فانّا ماضون .
(يستأنفون عرضَ الاسرى واحداً بعد واحد) .

عمرو : (يرَى اسيراً طويل القامة يُعرض عليه) نحّوا هذا الطويلَ المائق ويلكم ألم آمركم

الا تعرضوا علينا غير الربعة والقصير ؟

ابن عمرو : يا أبي لعله طال منذ رأيته آخِرَ مرة !

عمرو : مثلك يا عبد الله ؟ اذن لهان امرُه . ويلك شغَلْتني بأحاديثك شغلك الله. على رِسْلكم اعيدوا عرضَ هذا عليّ !
(يعودون بأسير كان قد مرّ أمامهم)

وردان : احسَبُه هو يا ابا عبد الله .

عمرو : إي ورَبّي انه لهو يا وردان، اعيدوا سائرَ الأسرى إلى حصْنِهم هلم يا اطرُبون !
(يحرك الأسير يديه كأنه لا يعرف ماذا يقولون ليخدَعهم عن نفسه) .

وردان : (يتمتم) لكن وجْهَه كان بلا شَعْر .

عمرو : انزَعْ يا وردان لِحْيَتَه .

وردان : أنزعها ؟ كيف ؟

عمرو : خذ بلحيته فاشدُدْها تخرجْ في يدك .
(ينزع وردان اللحية فتخرج في يده)

الاطربون : أجل أنا هو يا عمرو عدوُّك أمس وعدوك اليوم .

عمرو : لا اكادُ اصدقُ عيني . الاطربون حاكمُ الروم في فِلَسْطين وقائد الروم في مِصْرَ يؤخذُ اسيراً في ميدان القتال !

الاطربون : وأيُّ بأسٍ في ذلك ؟

عمرو : ألا ترى في ذلك من عارٍ عليك ؟ هلا قاتلت حتى قُتِلت كما يفعل الأبطال ؟

الاطربون : تبارزُني يا عمرو ؟

عمرو : الآن وأنت اسِيري ؟ ماذا يحملُني على ذلك؟

الاطربون : جبُنْتَ اذن .

عمرو : جبان واحد يا اطربون لا يضيرُ أربعةَ آلاف شُجاعٍ بطل !

الاطربون : ذاك لو لم يكن هو الامير عليهم .

عمرو : صدقت يا صاحبي ولكني مع ذلك لا أتركُ عدوي يأسِرُني في الميدان كما فعلت .

الاطربون : وأي بأس في أن أؤسر ؟ لست أولَ بطل يأسره عدوه .

عمرو : ذاك لو كنت الأسيرَ المُعْلَم يا اطربون ولم تكن الاسير النَّكِرَة بل كنت أحد رجلين فإما جَبُنْت عن الموت أو عجزت عن الفَوْت .

الاطربون : كذبت انك تعلم يا عمرو ان ليس في جندك من يقدرُ أن يأسِرَني .

عمرو : فهانتذا قد أسروك .

الاطربون : كلا ما اسروني ولكني استأسَرْت .

عمرو : عجباً . ترى ما حَملك على ذلك ؟ لعلك تريد ان تُسْلم ان شاء الله فتكونَ منا ؟

الاطربون : معاذ الله ان ادعَ ديني لدينك .

عمرو : فما جعلك تستأسر ؟

الاطربون : اردت أن ابرَّ قسمي الذي أقسمْتُه ونحن في فلسطين .

عمرو : اردت أن تقتلني غِيلة ؟

الاطربون : أجل .

عمرو : ما هكذا يصنع الرجلُ الشجاع . لو شئت لقصدتني ساعة البأس فتقتلني أو قتلتك .

الاطربون : بارزْني !

عمرو : الآن وقد اصبح في ملكي أن اقتلك ؟

الاطربون : اذن فاقتلني وعجّل فاني لم أُعد احتملُ اذلالك !

عمرو : وماذا اصنع أنا بقتلك ؟

الاطربون : ألم تُقْسم أنت ان تقتلني كذلك ؟

عمرو : في الميـــدان يا صاحبي لا صبْراً وأنت في الأسْر ، فانّا لا نقتُل الأسْرَى .

الاطربون : فماذا أنتم صانِعُون بهم ؟

عمرو : سنفادي بهم وما احسَبُ قومَك يبخلُون عليك بدفْع الفِدْية عنك .

الاطربون : (يستشيط غضباً) أنتم لصُوصٌ لاهمَّ لكم

إلا السلبُ والنهبُ .

عمرو : (ينظر اليه ملياً) خبِّرْني يا هذا أأنت رومي صريح ؟

الاطربون : نعم .

عمرو : فما مقامُك ومقامُ قومك في أرض القبط ؟ أليس لتَنْهَبوا أرزاقهم ثم تضطهدُوهم بعد ذلك في عَقيدَتِهم ؟

الاطربون : لا وحياة السيد المسيح لا أدعهم يدفعون لكم عني أي فدية .

عمرو : اذن اطلقُ سراحك .

الاطربون : تطلق سراحي ؟

عمرو : نعم .

الاطربون : دون فِدْية ؟

عمرو : لتعلم ان المال ليس همَّنا كما تزعم وكما تظن .

الاطربون : (ينظر اليه في ارتياب) ... ؟

عمرو : ولأمر آخر يا صاحبي تهْفُو نفسي اليه

فهل لك ان تحقّقَه لي ؟

الاطربون : ما هو ؟

عمرو : ان القاكَ مرة أخرى في الميدان فاقتلَك .

الاطربون : لا تحاولْ خِداعي . لا اصدّق شيئاً مما تقول حتى تنفّذه .

عمرو : (لرجاله) اذهبوا بهذا الاسير فاطلقوا سراحه .

الاطربون : وحدي يا عمرو ؟

عمرو : اني أمرت لابنة أخت المقوقس بهَوْدَج يحملُها ورجالٌ يخْفِرُونها في الطريق . افتريد يا اطربون ان تكونَ مثلَ أرمانوسة؟

الاطربون : (يكظم غيظه) أنا لا أريد من رجالك بل من رجالي . إني ان رجعت إلى الروم وحدي كان ذلك سُبّة لي عندهم .

عمرو : كم رجلا تريد ؟

الاطربون : ستةً أو سبعةً .

عمرو : اطلقوا معه عَشَرَةً من رجاله .

الاطربون : شكراً .. إلى اللقاء يا عمرو .

عمرو : في الميدان !

(يخرج الاطربون مع حراسه)

ابن عمرو : ما هذا الذي فعلت يا أبي ؟ تطلقُ سراحه وقد امكَنَكَ اللهُ منه ثم لا يكفيك هذا حتى تطلق معه عشرة من رجاله ؟

عمرو : يا بني دعني وسياسةَ أمري .

ابن عمرو : لقد اضعت على المسلمين فدْيَتَهم

عمرو : ستعلم غداً يا ابن ريطة اني كسبت بذلك للمسلمين اضعاف ما اضعت .

(يدخل قيس بن ابي العاص السهمي)

عمرو : ما وراءك يا قيس ؟

قيس : شطا وارمانوسة قادَمان ليستودِعا منك

عمرو : اعدَدْت لسفرهما يا قيس ؟

قيس : كل شيء .

عمرو : واخترت الرجال الذين سيرافقونك ؟

قيس : نعم . خمسة عشر رجلا كما أمرت .

عمرو : احسنت . (ينهض لاستقبال القادمين) .
(تدخل ارمانوسة وشطا وعليه آثار الضعف وهو يتوكأ على عصا ومعهما ريطة وخولة بنت الازور وورومانوس ويونس).

عمرو : هل اعددْتَ كتابَ المقوقس يا رومانوس؟

رومانوس : نعم أيها الامير .

عمرو : هل لك أن تقرأه علي ؟

رومانوس : (ينشر الكتاب) أما بعد فان ابن اختك شطا بن الهاموك قاتلنا في الفرَما مع الروم. فما اغْنى عنهم منا شيئاً فحاقَتْ بهم الهزيمة وتم لنا النصرُ والفتحُ ووقع هو في أيدينا أسيراً ثم وردَت الينا ارمانوسة ابنة اختك لتشْفَع له فاطلقْنا لها سراحه من أجلك أنت وسيرناهما اليك محروسين مخفورين

والسلام .

عمرو : أحسنت يا ابا الروم . أعْطِ الكتاب لقيس ابن ابي العاص .
(يسلمه رومانوس)

ارمانوسة : لله أنت أيها الأمير . ما رأيتُ اوسعَ حيلةً منك .

شطا : اجل . ما بَقي الآن على ابي ولا على خالي من خوف .

عمرو : ونحن بعد يا شطا لن نَنْسى بلاءَك معنا ابداً .

شطا : وددت أيها الامير لو اني قاتلتُ معكم أيضاً في معركة بلبيس .

عمرو : ان الفرما أهم عندنا من بلبيس ، فالذي يَصْحَر لنا لا يُعْجِزنا ، ولكن الذي يحتمي بالحصون والأسوار هو الذي لا سبيل لنا اليه ، وقد استطعتَ ان تخرجهم لنا من

اسوار الفرما فكنت أنت الذي اتحت لنا النصر .

شطا : يا أمير العرب اني انما قمت بذلك في سبيل قومي القبط عسى أن تَرْعُوا حقَّهم حينما يدالُ لكم من الروم .

عمرو : ذلك يا شطا ما نحن فاعلون ان شاء الله .

قيس : أتأذنُ لنا ايها الامير ؟

عمرو : امضُوا على بركة الله .

يونس : أيها الامير ان قيس بن ابي العاص لم يشأ ان يقبَلَني بين رجاله .

عمرو : اقبله يا قيس .

قيس : ايها الامير ألا تَرَى هؤلاء الفتيان ؟ انهم جميعاً يريدون مثله ولا استطيع أن أقبله وأرفُضَهم .

عمرو : (للفتيان) ويلكم ماذا تريدون ؟

الفتيان : نريد ان نسير مع قيس لنحرس الهوْدَج .

عمرو : لا قيسُ بحاجة اليكم ولا الهودجُ

ارمانوسة : (كانها تدرك ما يدُور بينهم من حديث) يا أمير العرب ما يمنعُك ان تأذنَ لهؤلاء ؟

عمرو : قد اختار قيس رجالَه وليس فيهم هؤلاء .

الفتيان : فما بالُ يونس ايها الأميرُ ؟

عمرو : كلا ما أنتم كيونس . ان يونس يدافع عن الهودج حتى الموت ان كان كون .

الفتيان : ونحن ايضاً ايها الأمير !

عمرو : (بلهجة حاسمة) كلا لا ينبغي ان يزيد عددهم على خمسة عشر والا ظُنَّ بهم انهم طليعةُ جيش. امضُوا على بركة الله.
(يخرج قيس وشطا وأرمانوسة ويونس) .

ريطة : ارأيت يا أبا الروم كيف ذهبت بألْبَاب فتياننا بنتُ فرعون ؟

رومانوس : لا ضيرَ يا أم عبد الله كما ذهبت بلبّ ابي الروم بنتُ بني أسد !

خولة : (معاتبة في دلال) رومانوس . أقْصِرْ يا رومانوس !

رومانوس : والذي نفْسِي بيده انني لأقولُها مخلصاً من صَمِيم قلبي تلك ارادةُ الله اذ هيأَنا لفتْح العالَم ووعدنا ان يُظهِرَ دينَه على الدين كله . أن يُنْشِىءَ من مختلِف شعوب الأرض على اختِلافِ الوانها والْسنَتِها أمةً جديدة هي أمةُ الاسلام خيرُ أمة اخرجت للناس .

(ينظر الجميع إلى رومانوس معجبين)

عمرو : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم . لقد نعتك أمير المؤمنين بالحكمة ولقد والله صدق أمير المؤمنين .

موقع الأديب
علي أحمد باكثير
www.bakatheer.com

المشهد الثامن

معسكر المسلمين في قرية أم دُنين على النيل من الغرب ، وعلى خليج تراجان من الشرق وحيث يقوم الحصن الروماني الذي استولى عليه المسلمون .

الوقت أول الليل . يرى جماعة من نساء المسلمين جالسات حول موقد نار . وأم رافع جالسة بينهن وهن منهمكات في اصلاح زينتها وتسريح شعرها وتضفيره وتزجيج حواجبها .

أم ذر : اسْرِعْن قليلاً يا نساءَ المسلمين قبل أن يستيقظ الرجالُ من نومهم .

ريطة : دعينا نُحسِنْ زينَتها يا أم ذر . ان هذه ليلة أم رافع وابي رافع !

أم ذر : لو اقلَلْتُنَّ من الحديث لامكنكن ان تحسِنّ زينتها وتسرِعْن كذلك .